**المحاضرة الثانية**

**البيئة الأندلسية**

يُطلق اسم الأندلس على شبه الجزيرة الأيبيريّة، وهي تضمّ حالياً كلّاً من البرتغال وإسبانيا، ويفصلها عن بلاد المغرب مضيق جبل طارق أو ما يُعرف بدرب الزّقاق عند المؤرخين.

ويعود سبب تسمية الأندلس إلى القبائل الّتي استطونتها، قادمة من شمال إسكندنافيا، من النّرويج، والسّويد، والدّنمارك وغيرها، وكانت هذه القبائل تُدعى الوندال أو الفاندال باللغة العربيّة، ولذلك سُميت المنطقة فانداليسيا، نسبةً إليهم، ومع مرور الزمن حُرِّف هذا الاسم إلى أندوليسيا، ومن ثم الأندلس.

وتقع البلاد في الجنوب الغربي من قارة أوربا، يحدها البحر الأبيض المتوسط من الشرق والجنوب الشرقي، والمحيط الأطلسي من الشمال والغرب والجنوب الغربي، وتتصل بالقارة الأوروبية عن طريق جبال البرانس.

تتميز الأندلس بكثرة أنهارها وبمياهها وجبالها، وبجمال طبيعتها، وقد انعكس ذلك على الصورة الأدبية الأندلسية، وعلى الشعر الأندلسي ونمط العمران أيضا.

عرفت الأندلس قبل دخول المسلمين أوضاعا متردية بسبب نظام الحكم الروماني الذي كرس الإقطاعية والعبودية، وساهم في انقسام المجتمع إلى طبقات، خاصة في فترة حكم لذريق الذي اغتصب الحكم القوطي بعد وفاة غيطشة الملك.

وكانت هذه الظروف الممهد الأول لدخول المسلمين، فقد أوعز حاكم سبة جيوليان، خوفا على سلطانه من غطرسة لذريق، لموسى ابن نصير بغزو البلاد، وشجعه على ذلك بإمداده بالسفن التي سلكت البحر لجنوب الأندلس، فكانت أولى الخطوات نحو تحقيق النصر والفتح الإسلامي بها.

وقد عرفت الأندلس نشاطا أدبيا لافتا للنظر، مرّ في تشكله بمراحل ثلاث هي: مرحلة التأسيس ومرحلة التأصيل ومرحلة التجديد.

**1- مرحلة التأسيس:** ويمكن ربطها بالسنوات الأولى للفتح وما لحقها من سنوات، وهي المرحلة التي يعتبر فيها كثير من الباحثين أن الأدب الأندلسي كان تقليدا للمشرقي، على غرار أحمد أمين الذي وصف المغاربة بأنّهم كانوا يعانون مركّب نقص من المشارقة جعلهم يهتمون بمجاراتهم رغبة في التفوق عليهم، رغم أن البلاد في تلك الفترة لم تكن قد أكملت مسيرتها في التعريب، وكان لابد لأبنائها من أن يتأثروا بالشعراء المشارقة، كما صرح أيمن محمّد ميدان قائلا: ''وبعيدا عن الخوض في قضية التأثير والتأثر -التي طالما شغلنا بها مشارقة ومغاربة- يمكنني القول بأنّ الأدب الأندلسي وإن خرج من عباءة نظيره المشرقي، فراح يحاكيه معبّرا عن حتمية انتماء اللاحق للسابق تارة، ويعارضه معارضة تجسّد نضجه ومشروعية التجاوز والانفصال تارات أخرى، فإن هذه المحاكاة لم تستطع أن تخفت صوت الأصالة الأندلسية، فظلت الشخصية الأندلسية واضحة متميزة، وظل إبداعها يحمل سمتها، ويجسد خصوصيتها''، ومثله الباحث في تاريخ الأدب بالمغرب والأندلس الربعي بن سلامة.

ويتميز شعر هذه الفترة بميله الشديد للشعر المشرقي صورا وتعابير. ومن أمثلته قول عبد الرحمان الداخل:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة\*\*\* تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى\*\*\*وطول التنائي عن بني وعن أهلي

نشأتِ بأرض أنت فيها غريبة\*\*\*فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

إلى أن يقول:

فقلت يا نخل أنت غريبة مثلي\*\*\*في الغرب نائية عن الأصل

**2- مرحلة التأصيل:** بدأت بوادر التأصيل للشعر الأندلسي منذ منتصف القرن الثالث الهجري، حيث صارت القصيدة الأندلسية تعبر عن الواقع الأندلسي بصور وتعابير أندلسية، يسيطر عليها شعور الاعتزاز والتقدير لأدب البلاد. ومن أمثلة ذلك قول ابن حزم:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة\*\*\*ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع\*\*\*لجدّ على ما ضاع من ذكري النهب

وقوله:

وإن مكانا ضاق عني لضيق\*\*\*على أنه فيح مذاهبه سهب

وإن رجالا ضيعوني لضُيَّع\*\*\*وإن زمانا لم أنل خصبه سَغْبُ

**3- مرحلة التجديد:** وهي المرحلة التي ظهرت فيها أغراض ومعاني شعرية جديدة كالموشحات، ورثاء المدن والمماليك الزائلة، وشعر الطبيعة بألوانه ومعانيه المتعددة، والوصف. ومن شعراء هذه المرحلة نجد لسان الدين ابن الخطيب، وابن اللبانة وأبو البقاء الرندي وغيرهم.

**المصادر والمراجع:**

1- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس.

2- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995.

3- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط5، 1978م.

4- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1975م.

5- مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار اعلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1979م.

6- أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1982م.

7- أيمن محمد ميدان، الحوار الأدبي بين المشرق والأندلس، د ط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، سبتمبر 2001م.